واحة الديمقراطية الامريكية قدمت نموذجها « المكارثي » منذ وقت مبكر ·

ولا زالت الديمقراطية هناك تسمح لك بأن تعارض او حتى تنتقد رئيس الولايات المتحدة الامريكية !! ولكن ان تكون شيوعيا او تدعو للشيوعية فهذا تهديد مباشر وخطير لمصالح الوطن العليا ، والبرجوازية هي الحارس الامين على هذه المصالح وبما فيها مصالح الزنوج العليا ·

الثانية : ان البرجوازية ليست وحدها في « معركة » الديمقراطية ، فالنظام الرأسمالي العالمي كله متضامن متكافل لحماية الانظمة الرأسمالية ، مهما كان من خلافات بينها ، الا انها في مواجهة اي تهديد فعلي ، فانها تعرف جيدا كيف تحمي مصالحها المشتركة وتحافظ على سلامة النظام الرأسمالي العالمي ، لتحول دون الانفراد بأحد اطرافه والاطاحة به ·

الا ان النقطة الحاسمة في اللعبة الديمقراطية لا تتصل بتلك الاوراق التي تخفيها البرجوازية وراء ظهرها ، لكنها تتصل اساسا بالقاعدة التي تجري عليها اللعبة نفسها · فاذا كان الناخب الاوروبي يعطي صوته لانظمة برجوازية قامت بالفعل بتحسين شروط حياته المعيشية ، فان مرد هذا التحسين اساسا هو عمليات النهب والاستغلال التي تقوم بها المؤسسات والاحتكارات الرأسمالية لشعوب العالم الثالث ، وللايين العمال البائسين المستوردين للآلة الصناعية الاوروبية ·

هذا الوضع ينقل المسألة من جانبها الاقتصادي الاوروبي المباشر الى المجال السياسي والى الدور الذي يلعبه النظام في اطار المعسكر الرأسمالي بقيادة الامبريالية الامريكية او بالتبعية المباشرة اقتصاديا وسياسيا للولايات المتحدة · وسنكتشف بعد قليل ان ظاهرات العنف الاوروبي تتصل مباشرة بهذا الوضع ، وهذه التبعية ·

كيف تتم اذن مجابهة هذه الانظمة الرأسمالية ؟

بالطبع لن نجيب نحن على هذا السؤال ، ولكننا سنرى الاجابة العملية التي قدمتها « المعارضة » الاوروبية ، ممثلة بالاشتراكيين وخصوصا الشيوعيين ·

على ارضية الاسترخاء الديمقراطي والاقتصادي ، كيفت الاحزاب الشيوعية الاوروبية برامجها السياسية بمقتضى الحال ، وبما هو مفيد في معركة التنافس على اصوات الناخبين ، وفي هذا السياق اجرت سلسلة من « التحالفات التاريخية » مع الاشتراكيات الاوروبية ، ولم تلبث ان بدأت عدا عكسيا « مراجعا » للمبادىء والاسس الماركسية ، كان آخرها على الصعيد النظري الغاء مقولة دكتاتورية البروليتاريا من قبل اكبر الاحزاب الشيوعية الاوروبية ، واشاعة مقولة الشيوعية الاوروبية على الصعيد السياسي ، مما دفع الاتحاد السوفياتي والعديد من الاحزاب الشيوعية في العالم الى توجيه انتقادات نظرية وسياسية لمواقف هذه الاحزاب وبرامجها ·

التراجعات السياسية والنظرية التي اقدمت عليها الاحزاب الشيوعية الاوروبية منحتها مزيدا من القوة على المستوى الانتخابي وعززت مواقعها في اوساط طبقية متعددة ، الا ان الثمن الذي دفعته مقابل ذلك كان غاليا : فقد بدأت تفقد لونها الشيوعي وتمايزها الطبقي باعتبارها حزب البروليتاريا الثوري · ان الاسماء لا تخيف البرجوازية انما البرامج السياسية هي التي تعنيها وتتعامل معها · اليست الاحزاب **الاشتراكية** هي التي تجلس الآن في قمة السلطة في عدد كبير من الدول الرأسمالية الاوروبية ·

وفي اطار مثل هذه المعادلة ، الا يحق لنا ان نخشى اذا استمرت هذه التراجعات